بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة الجزيرة
معهد إسلام المعرفة

# التصور القرآني للاجتماع الإنساني (مقاربة منهجية)

بروفسير/ محمد الحسن بريمة إبراهيم

## *مفهوم رؤية العالم : الأسئلة الضرورية

1/ كيف يعمل هذا العالم؟ من هم البشر؟

2/ لماذا العالم على ما هو عليه؟ من أين جاء؟ من أين جاء الإنسان.

3/ إلى أين نحن سائرون؟

4/ ما هو الحق وما هو الباطل؟ ما هو الخير وما هو الشر؟

5/ كيف يتصرف الإنسان؟

6/ كيف نتحصل على العلم؟

7/ ما هي المكونات الأولية والمادة الخام التي تبنى بها رؤية العالم؟

# *أصول الاجتماع الإنساني في القرآن

## أ- المدخل المنهجي

### 1- الزوجية في الحياة

قوله تعالى (**يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ... ) (النساء :1)**، يفيد أن الظاهرة الاجتماعية، في كلياتها وأجزائها غير المتناهية، إنما انبثقت في مبتدئها من تفاعل زوجين أثنين( ذكر، أنثى) فقط. لابد إذن من أن تكون الرؤية القرآنية للظاهرة الاجتماعية قادرة على أن تفسّر كيف تم هذات البث ومن تفاعل زوجين فقط، وما هي السنن الضامنة لهذا البث المجتمعي في تجلياته المختلفة عبر الزمان والمكان.

# 2- نزول القرآن منجماً

*نتيجة (1) : التعادل المعرفي بين الوحي والاجتماع الإنساني

"ما ثبت من خصائص معرفية للقرآن الكريم لابد أن يكون لها ما يعادلها من خصائص كونية في الظاهرة الاجتماعية التي تنزل عليها متفرقاً لتفرقها، حتى إذا توحدت شرعة ومنهاجاً توحد القرآن كتابا"

"الوحدة البنائية للقرآن (خطة الخلق العامة)
تبرز وحدة بنائية مكافئة في الظاهرة الاجتماعية، حيث لها متغيرات كونية هي أصولها التي تتفرع عنها وتتسق حولها جزئيات هذه الظاهرة. هذه المتغيرات الكونية التي هي أصول الظاهرة الاجتماعية هي نفسها الأصول الكلية التي بنيت عليها مقاصد الشريعة الإسلامية".

"عالمية القرآن وخلوده تستمد شرعيتها العملية من عالمية هذه المتغيرات الكونية الحاكمة للظاهرة الاجتماعية من حيث أنها هي المسؤولة عن هذه الظاهرة أينما وجدت، عبر التاريخ والجغرافية، وأن القرآن الكريم بني حولها في تفاعلها الداخلي، وفيما بينها وبين محيطها الكوني في عالمي الغيب والشهادة".

*نتيجة (2) :

"تنزّل القرآن تاريخياً على الظاهرة الاجتماعية العربية المخصوصة في الزمان والمكان، مع اتصافه بالخلود والعالمية، يعني بالضرورة أن تلك الظاهرة الاجتماعية العربية المخصوصة تقوم على متغيرات أساسية تشترك فيها مع أي ظاهرة اجتماعية أخرى، في أي زمان ومكان، ومن ثم تتنزل عليها أحكام القرآن بمقتضى خواص الخلود والعالمية والاستيعاب".

## 3- الدين والفطرة

*قول الله تعالى : (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها، لا تبديل لخلق الله، ذلك الدين القيّم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) (الروم :30)، يدل على أن الدين الحق، بحقيقته التي توحد باطن الإنسان، وشريعته التي توحد ظاهر حياته، معادل للفطرة (الخلقة) البشرية التي فطر (خلق) الله تعالى الناس عليها، في أصولها الكلية وتجلياتها التفصيلية. إذن ما هي هذه الأصول الكلية للفطرة البشرية كما جاءت في القرآن؟ وما هي تجلياتها التفصيلية بحيث يمثل مجموع كل ذلك فطرة الله التي فطر الناس عليها؟ ثم كيف يكون دين التوحيد الحق (قرآنا وسنة صحيحة) معادلاً في حقيقته وشريعته لهذه الفطرة البشرية ذات الطبيعة الكونية؟

**أولاً** : ثنائية الخلق من الجسد الطيني والروح المغايرة للطين؛

**ثانياً** : ثنائية في خصائص النفس البشرية من حيث إلهامها فجورها وتقواها؛

**ثالثاً** : القدرة على كسب العلم عن طريق السمع والأبصار والأفئدة؛

**رابعاً** : زيّن للناس حب اللذات والأفراح وكراهية الآلام والأحزان؛

**خامساً** : النزعة إلى الحرية والاستقلال؛

**سادساً** : افتقار الإنسان إلى خالقه وعبوديته له اضطراراً مهما أعرض ونأى بجانبه.

# ب- خطة الخلق العامة

شكل رقم (1)

# نموذج معرفي قرآني للاجتماع الإنساني

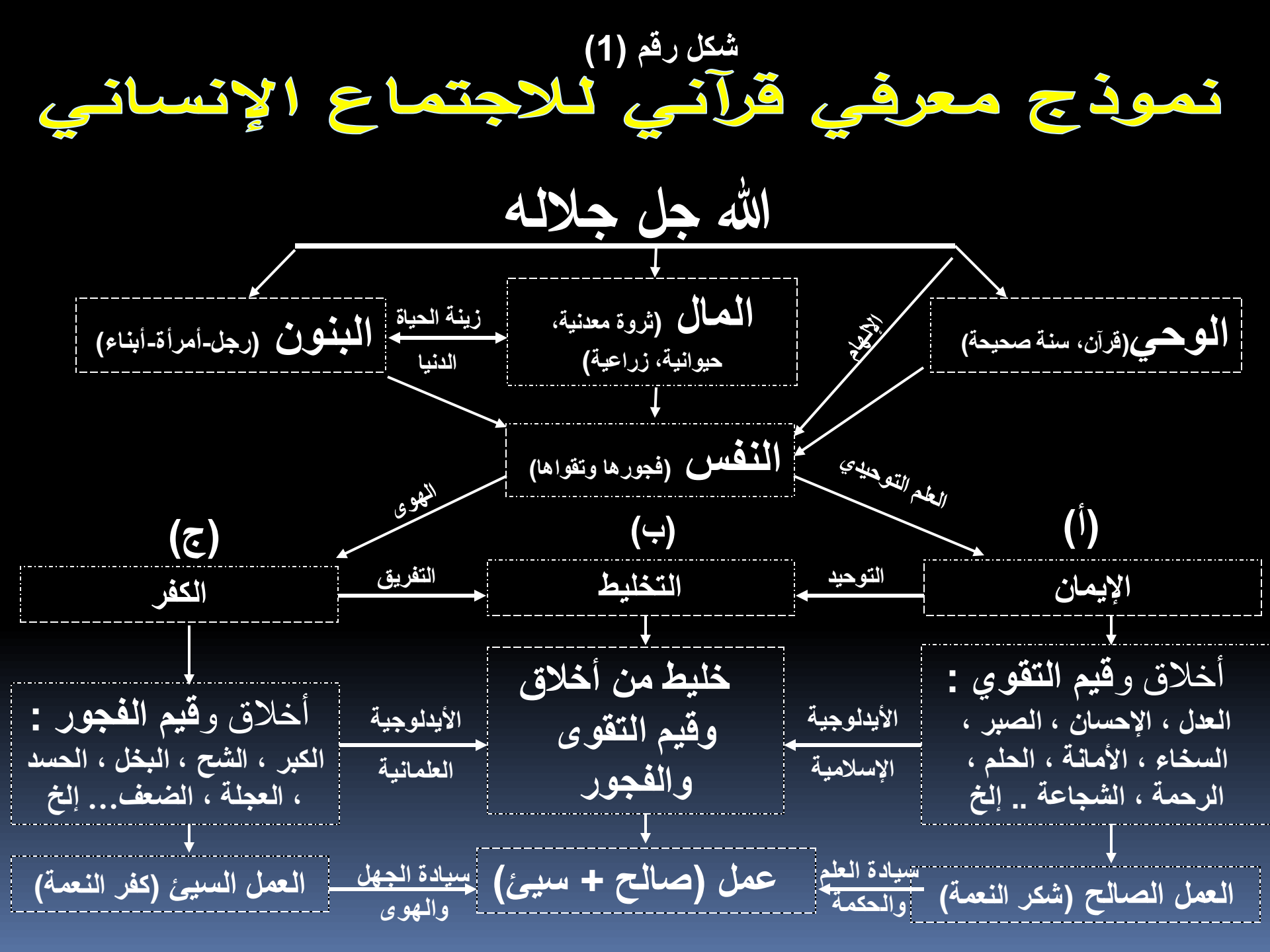

... نموذج معرفي قرآني للظاهرة الاجتماعية

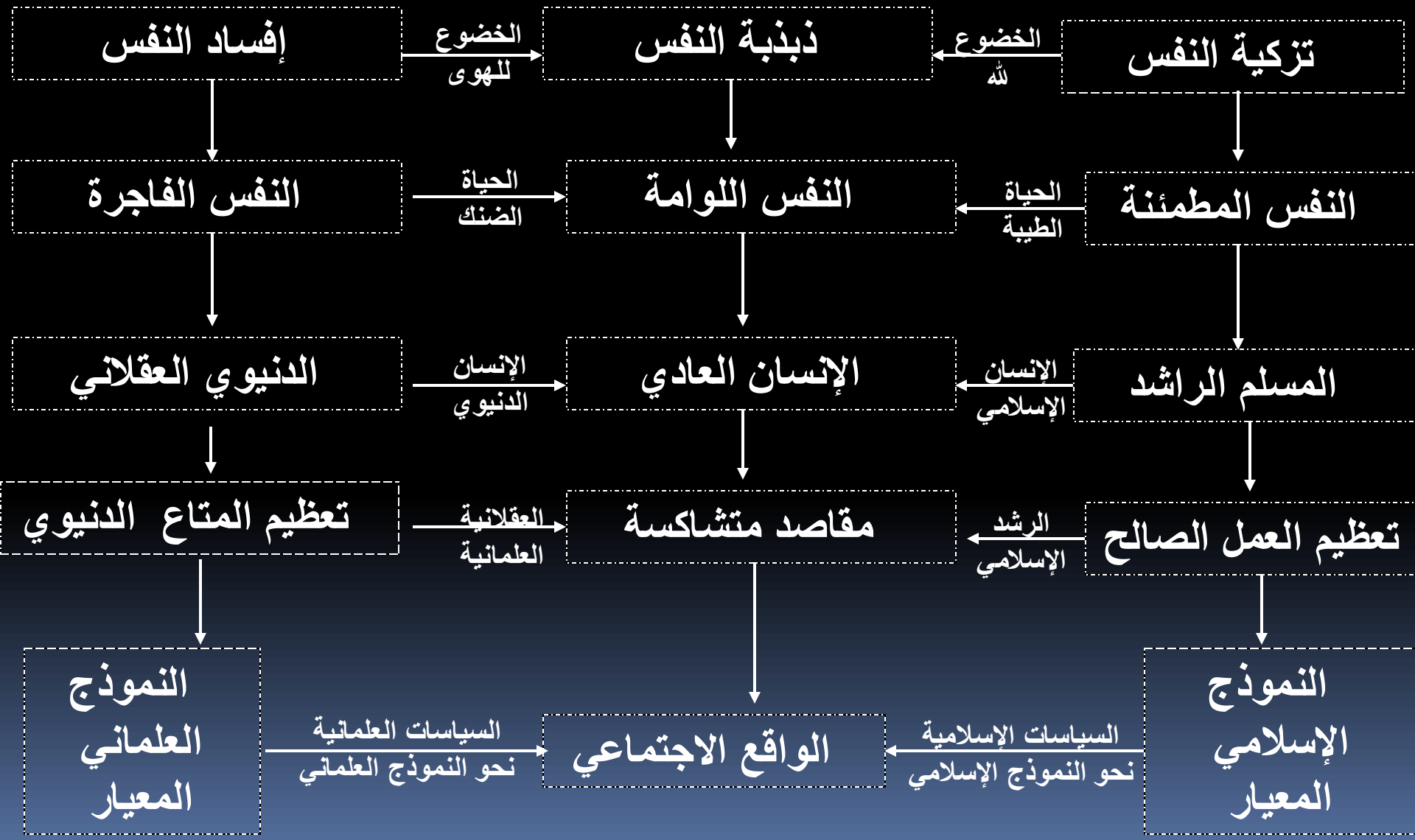

# رسم بياني رقم (2)
# نموذج الاجتماع التوحيدي

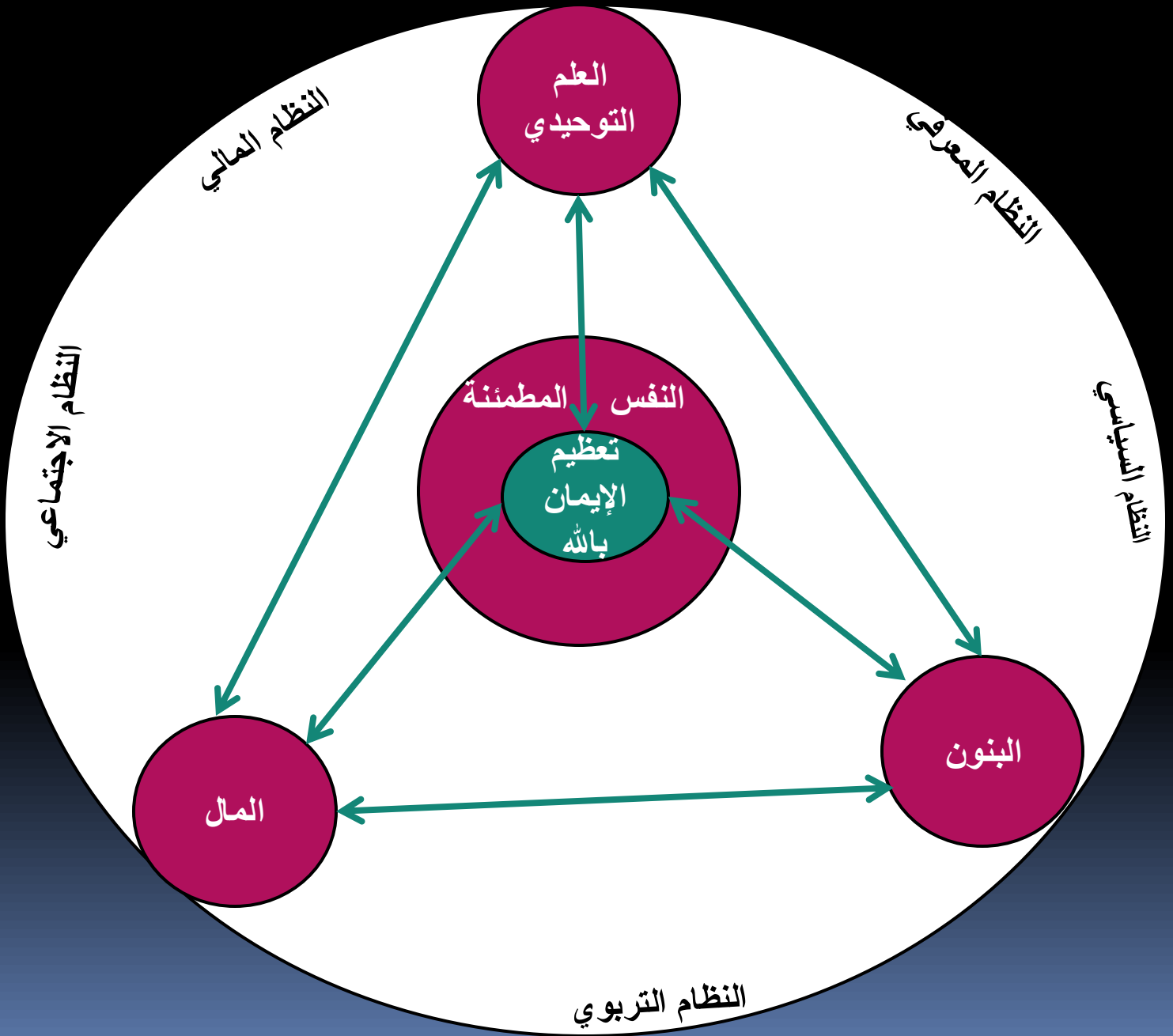

# رسم بياني رقم (3)
# نموذج الاجتماع الدنيوي

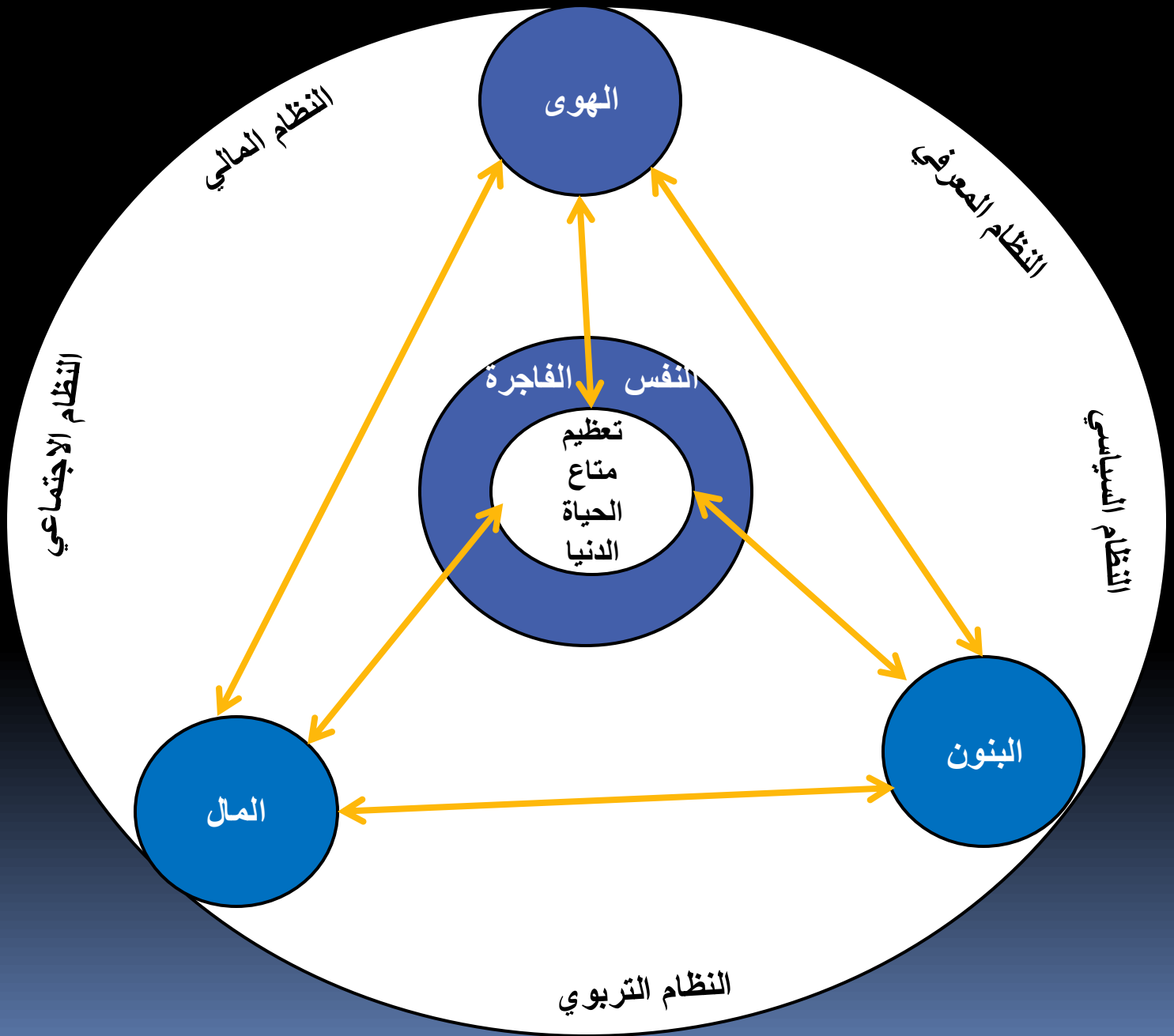

## ج- أصول الاجتماع الإسلامي والمقاصد الشرعية

*ينجم الاجتماع الإنساني من التفاعل بين سبعة متغيرات، اثنان منها تابعة، وهي : "الإيمان بالله" و "المتاع الدنيوي" وخمسة منها مستقلة ، وهي : "النفس" ، "العلم التوحيدي" ، "الهوى" ، "البنون" ، "المال".

*نتيجة :

مجتمع التوحيد يحفظ من جانب الوجود بقوة التفاعل بين أصوله الخمسة : (الإيمان، النفس المطمئنة، العلم التوحيدي، البنون، المال)، ويحفظ من جانب العدم بحماية هذا التفاعل من التأثير السالب لمتغيري "المتاع الدنيوي" و "الهوى".

*مقاصد الشريعة الإسلامية تدور حول حفظ هذا التفاعل المولّد لمجتمع التوحيد (الدين)، وحفظ أصوله المنتجة له من جانب الوجود ومن جانب العدم، على المستوى الضروري والحاجي والتحسيني، وأحكامها الشرعية هي وسيلتها لتحقيق تلك المقاصد. ويمكن تلخيص ذلك في الآتي:

1- حفظ الإيمان بالله تعالى على الدوام
2- حفظ النفس على الدوام
3-حفظ العلم التوحيدي على الدوام
4- حفظ المال على الدوام
5-حفظ البنين على الدوام
6- حفظ مجتمع التوحيد (الدين) على الدوام

## *دروس مستفادة للمشروع الإسلامي في السودان

**الدرس الأول** ، هو أن حقيقة الدين في الواقع، من حيث الزمان والمكان،إن هي إلا هذا التفاعل بين المتغيرات السبعة المنتجة للظاهرة الإجتماعية، ومآلاته من حيث حفظ ميزان التفاعل على الصراط المستقيم، أو الانحراف به نحو سبل أخري. لذلك فإن حفظ الدين على الدوام كأولوية في مقاصد الشريعة إن هو إلا حفظ هذا التفاعل ليكون على صراط الله المستقيم، وأما الدين المعيار فهو محفوظ بحفظ الله له في كتابه القرآن، ولم يكل حفظه إلى أحد من الناس.

**الدرس الثاني،** هو أنه لا أمل في أي تقدم تأسيسا على الإسلام إلا بمعرفة هذه المتغيرات المتفاعلة، كمّا ونوعا، في الزمان والمكان، و العلم بحقيقة التفاعل الجاري بينها، والهيمنة عليه بالعلم التوحيدي، لإقامة الوزن بالقسط بين هذه المتغيرات على الدوام.

**الدرس الثالث،** الأولوية المطلقة للعلم التوحيدي وإنتاجه، وللنفس وتزكيتها بالتربية، لأنّ هذين المتغيرين وحدهما المسؤولان عن نوع ناتج التفاعل بين المتغيرات، والاتجاه به نحو الصراط المستقيم، أو نحو السبل الأخري. فالعلم التوحيدي وحده الذي به نعلم حقيقة المتغيرات المنتجة للظاهرة الاجتماعية، وطبيعة التفاعل الحادث بينها، والاتجاه الذي ينبغي أن يسير فيه هذا التفاعل، والسياسات اللازمة لذلك.ويتطلب ذلك إنتاج نظام معرفي توحيدي يكون قادرا على توجيه جهود البحث العلمي لإنتاج علوم متخصصة تمكّن، عبر السياسات المناسبة، من الهيمنة على التفاعل المنتج للاجتماع الإنساني. وتزكية النفس لتتحقق بأخلاق التقوى في تفاعلها مع زينة الحياة الدنيا يحتاج إلى نظام تربوي يتأسس على علم التربية الذي ينتجه النظام المعرفي التوحيدي.

**الدرس الرابع**، هو أنه في إطار أولوية إنتاج العلم التوحيدي ينبغي أن تعطى الأولوية لإنتاج نموذج نظري للمسلم الراشد يمكّن من التنبؤ بكيف يتصرف في جميع المواقف التي تواجهه في الحياة، في الزمان والمكان، ومن ثم دراسة النظام الاجتماعي، بمكوناته المختلفة، الذي يمكّن المسلم الراشد من أن يأتي بالفعل الاجتماعي على وجهه المتوقع منه نظريا.

**الدرس الخامس،** هو أن جميع الخطوات السابقة لا سبيل إلى تحقيقها إلا بالاهتمام المطلق بقضية التأصيل المعرفي، لا سيما تفجير الطاقات العلمية للوحي الكريم، لأنه المنشئ للنظام المعرفي التوحيدي، والمحدد للقواعد المنهجية التي تسير به نحو الكون الاجتماعي والطبيعي لإنتاج العلوم التوحيدية.

**الدرس السادس،** هو أن النموذج الدنيوي، بحقيقته التي بينها القرآن، يشكل حضورا دائما، ويحدث تأثيرا قد يكون قويا أو ضعيفا بحسب استجابة النفس لدواعيه لتمكّن أو ضعف الهوى فيها، في حياة الفرد والمجتمع المسلم. ولما كانت الحضارة الغربية، المؤسسة على النموذج الدنيوي هذا، قد أنتجت علوما كثيفة ومتقدمة متعلقة به، على المستوى النظري والتطبيقي، في المجالين الطبيعي والاجتماعي، فإنّ من الحكمة الاستيعاب التام لهذه العلوم والاستفادة القصوى منها في دراسة الأثر السلبي والإيجابي الذي أحدثه ويمكن أن يحدثه هذا النموذج في حياتنا الفردية والجمعية، و أيضا الاستفادة منها في معرفة الآخر كما يرد في النقطة التالية.

**الدرس السابع،** النموذج الدنيوي المقابل للنموذج التوحيدي يمثل جوهر الحضارة الغربية المادية المتعولمة، وهو بحقيقته التي وردت في القرآن وبعلومه التي أنشأها الغرب يمثل أساسا منهجيا متينا لدراسة هذه الحضارة وكيفية التعامل معها، والتنبؤ بمآلاتها، والحذر من السير على خطاها.

تم بحمد الله